
نصر جميل شعث
خاطف الغزالة يتعثر بأعشابها
شعر
NASR JAMIL SHAATH

خاطف الغزالة يتعثر بأعشابها

شعر

نصر جميل شعث

خاطف الغزالة يتعثر بأعشابها





اسم الكتاب : **خاطف الغزالة يتعثر بأعشابها**

اسم المؤلف : **نصر جميل شعث**

تصميم الغلاف



الطبعة الأولى : 2016

رقم الناشر الدوليّ..............: ISBN

الناشر : **دار مخطوطات**



Makhtootat press and publishing house

Mauvelaan 67

2282 SW Rijswijk

The Netherlands

Tel: 0031610119235

0031620778642

e-mail: makhtootat1@gmail.com



(ختم الكتاب)

كتبت هذه المجموعة في الفترة ما بين 2011 – 2015

خاطفُ الغزالة يتعثّر بأعشابها

(1)

في داخلي شخصٌ عارٍ
كلما مات عزيز جرى إلى الغابة
وتلفّت كابن وحش.

(2)

الغزالةَ
أسرعِ من الوحوش،
لكن مأساتها أنها تقفَ
في كل لحظة
لتلتفت وراءها.

(3)

سنجري في الحياة

بحسرة غزالة

رأت صغيرتها بين أنياب الوحوش،

ولم تدر من ألمها بأنها

سبقت النهر

الذي لم تشرب منه.

(4)

خاطفَ الغزالة

يتعثّر

بأعشابها.

(5)

على قبره شجرةٌ مثمرة،

لأنه مات وفي جوفه خطأٌ طفولي أخير:

أكَل الفاكهة بنواتها.

(6)

الموتَ الحقيقيِ هو
ألا نستطيع نطق اسم منِ مات بعد دفنه،
كما لو أن في أفواهنا رملاً،
وألسنتنا جذُور.

(7)

أنا فاكهةَ الأرض،
شهدتَ غسل الكثير من الموتى..
ومرارا استجبت
لصرخة الأم علي:
اغْسلها..
قبل أن تأكلها!

(8)

على قبره ريشة..
ريشةٌ واحدةٌ بمعنى الكلمة.

لولا وقوعها بينِ شعاب نبتة مجهولة،
ما أقامت لحظة
و الهواء في البرية
فتى يافع
كثير الحركة.

(9)

يلوح بيده
من أجل الود ع،
لكن من أجل أن تنتظره
خمس دقائق؛
أنت الذي ترى
الإبهام
أقصر الدقائق.

(10)

أريدَ أن نَظل في العتمة،
نقرص بعضنا بعضاً، وندفع التهمة عنا.
لماذا كلما مات عزيز
استنار لي شيء
وعرفني على القارص؟

(11)

بعيدونَ
بعيدونَ
مثل طفْوٍ على الماء
موتانا
بيض كعافية القدامى..
فالغفوة بيضاء،
والنوم أسود.
صرخاتُهم العالية
أشرعةٌ ممحوةٌ بالكامل،
عوضتها ثيابهم الفضفاضة.

(12)

النزولُ ببطء
من طبع الحزانى.
وعلى العتبة التفاتُهم سريع.
الذي يلعب به الحزنُ أكثر
يلهو كطفل
بعدِّ الدّرجات.

(13)

أرى العصافير..
وأتحدّثَ عنها بحكم العادة.
وفي مناماتي
لا أراها رغم كثرة الشجر ..
ربّما تحليقي في النوم
هو السبب.

(14)

لا يعرفُ الحبَّ
من لا يُحب الأشجار غير المثمرة.
جميلةٌ ولا تخافُ،
عوض أنّها تحرمنا
مُخاطرة الوصول إلى أعلى الثمار.

(15)

الوحدةُ
كبعض الحبوب
تنمو..
حتى إذا انقسمت
نصفين.

(16)

الليالي حبالى.

كلٌّ ليلة تلدني وحيداَ،

ولا توائم لتعيلهم

وتتعب.

حتى أنني زاهدٌ بالأصدقاء،

وبطول العمر

على ظهر حصان

سريعٍ وجائع

على طريق العشب،

ولا يقف ليأكل.

(17)

يا أيها الطائر

أنت تَسمن على الأرض وتطير،

وأنا أنحف ولا أطير.

(18)

نسيت الشرفة في البيت

مفتوحة..

طوال الطريق التي تنتهي

إلى جبلٍ غامض،

وأنا ألوم نفسي:

لو أنّني حملتَها معي

إلى النهاية!

(19)

في حياتي

سمعت الكثير من الكلام الكبير

الذي أدهشني

وأبكاني ودلّني على الأرض.

ولكنني ما زلت أحن

إلى طفولة اللغة التي افتتح بها آدم لسانه،

وطمأنَ بها نفسه

كغريب.

(20)

عيناي صحيحتان،

لا تخطئان قراءة ساعة تُخطئ

على غفلة مني،

وتتقدّم دقيقة.

(21)

في لحظة عراء

انتابتَ عينيه وهو يبدّلُ نظّارة اليوم بنظارة القراءة،

ليقرأ قصيدةً..

رأى أشياء أكبر من القصيدة.

(22)

يُحدّقون في ظلالي

بحثاً عن عيونهم السوداء،

وأحدّقُ في ظلالهم

بحثاً عن البياض المحيط.

(23)

الشلالاتَ الصغيرةُ

على ظهور الجبال

تجري وتصل..

رغم أنها عرجاء

كإمضاء يَختلفَ قليلاً

عن نفس الإمضاء.

(24)

قد أعطيكَ الجسر

ويبقى لي النهر ،

لكن لا أعطيكَ الطريق.

فأنا لا أمشي تَجديفاً

على الزرع

الذي سقيته بنهري.

(25)

أسماء كثيرةٌ للسيف

ما تغلّبتَ عليه.

أسماء كثيرة للورد

انتشرت..

ولكنِ عندما نُحب نَسمي

الوردةَ وردة.

(26)

أُحب الخريف،

يُوصِل الأوراقَ إلى العتبة.

أوراقُ الخريف

لا تذهب إلى البحر.

والخريفَ ضرورةٌ أمنية،

كالحرص على الكؤوس ناقصةً

لتأمين حملها.

(27)

الماء يشرب اسمه فيطول..
نهر جميل، ويُجرب الأولاد رسمه
مسرعا ومستقيما بالرصاص.
ولا يلتقي العشّاق إلا في تعاريج الحياة.
وأنا أبطأُ من الحب السريع،
وأبكي على نفسي إذا أسرعت.
كلُّ حبٍّ بطيء وراءه فراشة.
كلُّ حبٍّ سريع وراءه حجر.

(28)

من أنت؟
تقف كل يوم على حديد الشوارع،
تتأمل عجلات الدراجات الهوائية لرياضيين،
الأمامية منها تحديد..
يصِلون وأنت لا تعود
إلى الأيام البطيئة.

(29)

رأيت أطفالاً كثيرين

وزّعت محاسنهم على نفسي.

قلت للأول:

كان شَعري جميلاً مثل شَعرك.

قلت للثاني:

كنت أُحب كل ما حرمت منه،

أكثر ممّا في يدك الآن.

قلت للثالث:

أمي اشترت لي ساعةً

كالتي خربتها من فرحك بها الآن.

قلت للرابع:

أبي كان كأبيك شابا جميلاً.

وقلت للخامس:

لا تكبر مثلي يا حزين.

(30)

فوق الطاولة رؤوس،

تحت الطاولة أقدام.

أنا لا أسمي الأفكار والأسس،

أنا مرعوب

من هذا التباعد بين الأشلاء.

(31)

الجنودَ الجادونَ في الحرب

قَصفوا كلَّ شيء على الأرض.

وفي نهاية الطلعة

قصفوا السماء

من باب المزاح.

(32)

عند الأعداءِ ما عندنا،

ستائر للبيت،

قططٌ،

نوايا،

أصدقاء،

وأسماء كثيرة

على سبيل الدلال أو الشتيمة

لكل ولد من الأولاد.

(33)

الضباب كفَن العين.

الغياب حمار القصائد.

العكس صحيح

كحصان..

والوحيدَ

يرسم شجرةً

سيختبئ بها في الصحراء.

أفكار الوحيد كأفكار جندي،
ولكن الجندي
لا يرسم أحلامه بالماء.

(34)

في الغابة،
بيدي أحل المشاكل
بين الأغصان
وقميصي الفضفاض.
وكلما تعمقت في الحب،
هكذا جزافًا كرهت الحياة.

(35)

الجبناء
يزورون حديقة الحيوان.
يلفّون على رقابهم
ثعابين عاجزة،

سُلبت منها مهنتها القديمة.
أين الشعر
في التقاطهم صورا
والعجز حول الرقاب؟

(36)

لستَ سهلاً،
وإن كنتَ كثير الحركة بينكم.
وبعض الشعر أكتبه احتجاجا
على كوني شاعرا بكم.
في شخص يرفضكم.
لستَ أنا،
إنه الشاعر.

(37)

آه يا أبي

كم أنت حزين من قصائدي الآن،

حزنكَ الذي أؤكّدَ به ما قلتَه لنفسي

في لحظة يأس من الحياة:

لا أكتب الشعر طمعا في قارئ متوقّع.

إنما لكَ كي أشعر بردة فعلك في داخلي،

وأنت ميت منذ سنين.

قمحٌ يستعينُ بالطير لعدّ نفسه

لو أصابعي علىِ كتفك
لحرّكت القمحَ الذي في فم الملاك.
جرس الباب متخم بالرنين،
ما من إصبع تُمرنه.

ما يعيدَ الأرض إلى قمحها
أن القلب يُجرب في حبك كل وسيلة.

سقف أحلامنا عال،
لدرجة أننا لا نستطيع رش قمحنا عليه
للعصافير!

**

أنا قمح يستعينَ بالطير لعدّ نفسه.

أنا خيل شَردتِ من السرقة.

لا أرتاب من النار،

فكلّما تنهدت تَعرتْ.

ولا أضمن الماء،

يَحفظ اسمَك وأحزنُ

على سقاة خيل

ماتوا عطشًا وما شربوا

من ماء الخيل.

**

أريدَ سلّما عتيقًا

لرأسي،

ولهذا الطفل الذي كبرتَ عليه؛

كي يصعدَ وينزلَ إلى الأرض

متى يشاء.

سلّما من خشب

رائحةِ الشجرة باقية فيه.

**

السُّلّم سبع مرايا،

على كل درجة لك فيها

وأنت تصعد و تنزل؛

وجه مُختلف.

**

أيها الليل الذي كبر

عَد طفلاً لأحن عليكَ،

أو حذاء طفلِ لأتفقدكَ على العتبة،

قبل ذهابي إلى النوم.

**

أحلم ولا أتذّكر جيدًا الأحداث،

وأضحكَ من حيرة البحث في العتمة

عن طول الغطاء

الذي نقص عن الجسد.

**

في حلُم ما قبل الفجر بقليل،
باللباس المدني
– عكس ما يرتدي ظلّي القريب–
بخجلِ دخلت على الأهل الحزانى،
كغريب به سعةٌ
من الفرح البسيط.

**

مازال حائطي مائلاً إلى الماء،
شقيت من أملي بأن يصبح ظلّه جزيرة.
لحظةً ويقع لأمشي..
على طرف الجزيرة وحدي،
كلّما نظرت إلى ظلي رأيت أبي.
وكلّما رأيت رتلاً من الدبابات
على الأرض يمشي، قلت:
يا إلهي كم الأرض غنيةٌ بالحديد!

**

مشىِ من العتبة إلى الشّباك

مشيةَ ذاهب في جنازة،

وعائد منها لشرب الماء والاعتذار للأهل

عن الأكل هذا النهار.

وقالت له الأم من باب الكلام عن الحياة:

تمشي كأنك عارض أزياء!

**

حتى البكاء كان فكرةً،

وكان لعبةً

في طفولتنا..

كنا عندما نبكي على أي شيء؛

نَستدرِجُ الدمعَ لشفاهنا

ونتذوقه.

**

أولُ لعبة فقدتُها
في طفولتي:
جدّتي..
كانت كلّما عرَّضْتُ نفسي للخطرِ
تصرخ.

**

مرةً نمت والعلكةَ في فمي.
في الصباح رأتها أمي معجونةً في شعري.
قصتها وبكيت:
"صارت حفرةٌ على رأسي!"
قبلتني وقالت:
في الليل سيرى الناس على رأسك القمر.

**

إذا تكشّف ولدٌ في الليل، قالت:

اسم اللهِ عليك، وغطَّته.

وإذا كشّف الولد عجينها الصباحي، قالت:

اسم الله عليك، وغطّته.

أيها الشعر

يا سوادِ العين ومحيطها الأبيض،

نَم قليلاً،

وتكشّف كطفل

في الليل.

**

لم أخبرك

عن كذبة من كذباتي وأنا صغير:

في اختبار فحص النظر ضربني الطبيب

على كتف ذنوبي،

لأنني أخطأت تحديدَ اتجاهات الحروف ونظري سليم.

كنت أطمح، في الحقيقة، بنظارة
إعجابا بدمعة رجلٍ
بكى، في فيلم، من خلفها.

**

البحرُ أوسع من اسمه في فمي،
ونظرتي إليه أوسع منه.
حدّثت نفسي بهذا
كسائحٍ نزل من سفينة كبيرة،
وعالج غربته بإعادة النظر
إلى طائر في السماء.

**

كلما رأيت شيئا دورته بالخيال،
والخيالُ يريدَ الأرض مستقيمة.
الخيالُ يجرح نفسه بالحوافّ:
يعطي الماء جزرا،
ويعطي الأرض ماء.

**

يدَ الإنسان قصيرة،

يَصلِها بيد أخرى أو بالسلاح.

يداي نظيفتان..

إنّما فتحت الحنفية

لألعب بالصوت.

**

لا قوارِب تصلُ

لسانا بحريا وعرا وجميلاً،

كل يوم أقطعه بغمضة عين

من الشباك..

ليعيش تجربةَ البحث عنها.

**

رغيفٌ ساخن

يقسمه الجائع نصفين:

يفتح الأوَّلَ بنفخة تبريد – يبحر في عرض يده،

ويتركُ الثاني نائما لأخيه.

**

أتأخر في تلقيط الفَتات
من على شرشف الطاولة؛
فلربما أكلتها الطيور المرسومة.
وأسرع في انتشالها
من فوق صفحات الجريدة.

**

كان الرجل قديماً وهو يبارز الهواء بسيفه الجديد،
يقطع، أول ما يقطع، صرخةً أطلقها أثناء التدريب.

**

يَحفرون مقبرةً جماعية،
كعمّالِ بناءٍ يؤسسون بيتاً لرجلٍ فقير؛
ادخر غيرته،
وأنفق أساه على الشارع..
حتى وصل الخمسين.

**

يموت

ويظل الصيت الملازم لاسمه:

أصيب بطلق رصاص حي.

**

لطفلة سقطَ أوّلُ سنّ لبنيّة منها،

يومِ سقط أبوها على العتبة؛ و شوه ضحكتها الفراغ:

غدًا يا صغيرة،

كلما ضحكْت لليل،

دخلَت من الثغرة نجمةٌ أو قمر.

**

أكتبوا الحرب على النعال،

حتى تجري بسرعة وتنتهي

تمامًا عند محطّات السفر

المحملة بالكلام عن المدن.

لا تكتبوها في الرؤوس،

كي لا تستغرقَ رحلة الحياة.

**

الذين يشعلون الأرض

ولا يبكون،

هل يعولون على دموعهم،

لأنّ في جهنّم بكاء؟

أنا حفنةُ قمحٍ تَطحَنُني الحياةُ وآكلُها

(1)

في دربنا فجوة

أحدثَها من تركوا لنا قبلَها كومةً

من سقط المتاع.

هلِ نردم الفجوةَ بالكومة،

ونمّر بسلام

مدانين لمن آذونا بفضيلة؟!

(2)

الكامل إذا نقص

صار هلالاً على الماء كخنجر.

الناقص إذا اكتمل

حمل البدر

كدرعٍ يحمي الجسد،

ويترك البدر

لضربات الهلال.

(3)

أولئكَ الذين انقطع الماء عنهم،
تيمموا بالرمل الذي عليه ظل.

(4)

لا تأخذْ طعامك من شجرة،
وتصنعه على نارٍ هادئة من حطَبٍ بنتها العاقر.
لا تشم وردةً
موضوعة على ضريح.

(5)

كلُّ شيء متوقّفَ على الأمل..
الأملِ الذي يَمشي على ساقٍ واحدةٍ
مقطوعة الوردة..
لسبب طارئ
يَحكّ بكعبه العالي على الركبة
فتحمر،

ثم يمَشي

ليظن الناس أنه قد

طلعت في منتصف الأفق

وردة.

(6)

الأمل أبيض

كبطانةٍ جيْب سروالٍ أسود.

تدْخل يدُكَ فيه،

وتُخرِج معها البطانةَ فارغة.

(7)

أفتح شباكي..

لا أرمي له برأسي،

لا أرمي له بيدي وألقابي.

أرمي بخبزي إلى الطير..

لتتجمهر في رأسي بأغانيها،

وتحجب عني أخطائي

وأخطاء الناس.

(8)

ما حاجتي لكل هذه الطيور؟
لو طائر فقط:
حرٌّ ووحيدٌ في السماء كدكتاتور،
ودائم التحليق فوق الأرض،
فلا يحطّ ليأكل أو يشرب منها.
وفوق النهر بعلو منخفض،
ليحسن الناس المشي على ظلّه
إلى الضفة الأخرى.

(9)

رماهَ بحجر من الطريق
اختلفا وهما فيها على وزنه
الذي قدّراه باليدين،
بعد أن فشلا
في إيصاله للثمر.

(10)

ذاكرتي ثمرة،

ذاهب لأقطفها من الشَرفة.

وليس لي سوى

كوة قليلة كفمٍ على ماضي،

كي لا تتضخمِ الحكمة.

أما الشرفةَ

فلسانُها في البيت طويل.

(11)

أيها الإله الطيب:

لسنا شركاء في الموت،

ولكني شريكك في الوجود.

خلقتني ولن تسوّيني بعدِ الموت عدماً.

لا أريد أن أكون شكلاً يقاس

كهذا الجبلِ،

يَفاجئنيِ غير صديق بسؤال:

كم يبلغ طوله؟

في حياة جديدة،

اجعلني تحت الجسر الخشبي،

أو حول الجبل، هواء.

(12)

نمت وحيدًا
وأفقت من حولي ناس.
حادثةُ منام أوقفَتْ في حلْقي أغنيةً سامة.
ماذا أفعل؟
إن ابتلعتها أموتُ وحيدًا،
وإن غنيتها تموت الناس.

(13)

أكرر بيتًا واحدًا في قصيدة مغنّاة،
بيتًا قريبا كالطفل إلى القلب..
لكن عيبي في الغناء
أنّ كثرة تنهدي تكسر لحن البيت،
فأشدّ خياما بحبالي الصوتية،
بعيدًا عن القلب.

(14)

كم كسرنا أسماءنا في الصغر،

كم شوهناها،

كم كررنا فتنة تكسير الأشجار،

وصناعة المتاهات بأيدينا

على أوراق بيضاء

ونحن نتدرب على إمضاء

يميزنا عن غيرنا في المعاملات.

(15)

أنا حفنةَ قمحٍ

تطحَنني الحياةُ وآكلُها.

وأخطئ تقدير الملح في طعامي..

ساخنَا آكلُه كي لا أحس

ببرودة الملحِ.

أنا ضمادةٌ لجرحك،

تكونت من بخار أغانيك.

(16)

ليس الغياب

أن يغيب القمر وراء غيمة.

الغياب هو

أن تغيب غيمةٌ وراء القمر،

وتمطر عليه ليلمع أكثر..

فيما الأرض هناك

سوداء و قاحلة.

(17)

الأرض وأنا

كلانا نمشي..

أنا عليها،

وهي على الهواء.

حين أحكّ ظهري من أثر الريح

لا أعيقها،

وحين تَحكّ ظهرها

تعيق الجميع.

(18)

ليتني ولدت فتيًّا،
وفي يدي حصالة أسماء.
كنت سأعطي نفسي اسما كل سنة،
كي يدفعني للتي هي أحسن منها.
وحين تنتهي الأسماء،
بدل أن تنشق الأرض وتبلعني،
أشق الحصالة،
وأجعل منها صحنين أو كفتي ميزان:
صحنا أصب فيه ماء للطير،
وكفة أزرع فيها شتلة
تكون في المستقبل وازنة.

(19)

في طمأنينة
وقفت واستقمت..
ظهري إلى هاوية،
ووجهي إلى أناس
هوى كلامهم في ظهري
كسقط متاع.

(20)

مَحبتي للحياة

أكبر من همومها.

وبعض الناس مقبرة،

يقتلك في داخله،

ويظل يتحسس عظامكَ

التي توجِعه.

(21)

هربنا إلى الحياة،

والعدو وراءنا يلهث.

ولم نتعب

إلا من لهاثِنا الذي أثقل أكتافنا

ونحن نتلفّت.

وسقطنا في الهاوية،

لأننا كنّا نسير على البركة،

البركة التي نقِصت!

(22)

لدي أخطاء

غير مقصودة في الحياة،

مثلي مثل ميكانيكي

يفرك يديه برملٍ لم تصبه بذرةٌ أو رصاصة؛

بعد إصلاحه سيارة

ستقل عائلة خارج الحرب..

ثم يغسلهما بالماء وصابونة بيضاء

وضعها على الحجر،

ونسي أن يغسلها من سواد يديه.

(23)

فعلنا أشياء كثيرةً

سيئةً في الحياة.

لو كنّا عادلين في أفعالنا

وكان النصف الأولُ منها سيئا،

والنصف الآخر حسنا..؛

كنا سنمشي إلى الله

متوازنين.

(24)

جسدي كسول وروحي رياضية.
ولا أسكت خلال الكلام عن الحرب
لترتيب أفكاري وحسب،
لكن لأسمع، أيضاً، دقات قلبي
في كل هدنة..
حرب طاحنة،
ضحاياها ناعمة.

(25)

وطني المفاجئ هو
حيث أرى ابتسامة مشاة لي على الطريق..
مشاة لا أعرفهم،
ولكني أسميهم وطناً مفاجئاً
لإضعاف قسوة وطني البعيد.

(26)

وطني غرفة

زينتها بالريش،

حتى إذا انكسرتْ مرآة

أو سقَطت ساعةُ حائط؛

تفزع و تطير

عن شموعٍ

سيلفحها الهواء،

ولن تسعل.

(27)

المشاة الذين عددوا للغريب

أسماء الحديقة

خلصوا، بضحكة واسعة، إلى تسميتها:

حديقة.

(28)

رميت الحجارة على الماء،

وقدّرت كل رمية..

لأكتب اسمكَ بشكل صحيح.

عند وضع النقاط على الحروف

واصلت الرمي بالشمال.

(29)

بالغصن الذي انكسر

وتركته الشجرةُ على الأرض،

لأنها تنمو إلى السماء..

ولم يكن نبي ليتّخذه عكازا يرسم به

الحكمةَ التي تسبق خطاه؛

بالغصن الحليق الجافّ

قاس الأولادَ أطوالهم:

منهم من زاد عليه،

ومنهم من نقص.

(30)

كبرنا لنحمل الأمنيات

تحت الشمس

نمشيِ إلى النبع ببطء

وبيوتنا عطشى..

وإن ركضنا نخسر النظر بأعصاب باردة

إلى رجال يقيمون حروبا حول ثياب

صنعوها من ظلالهم،

ورفعوا بعضها مظلات.

(31)

لو أنّ يدي طويلة كأغنية،

لقطعتها من النصف

كبائع يكذّب تحت الشمس،

ويقول للمشتري:

جرب طقم الكؤوس هذا،

إن طقطقت واحدةٌ

وأنت تصب الشاي

- ما لم تكسرها أنت عمدًا على الرخام -
سأقطع يدي وأغني
حين تسألني زوجتي التي ستراني ناقصا،
وهي تتزين لحضرتي في المرآة:
طيرتها لتحضر لي غدي.

(32)

أنا عادلٌ ودقيق،
أقرأ الوقت من ساعة الحائط،
وأؤكّدَ صِحته
في ساعة يدي المجروحة.

(33)

أحب يدي،
أقلّبها كرغيف.
ولا أكف عن إلقائها في الهواء
كليرة من ذهب.
وتحديدًا الآن:
أذكّرها بالجروح التي أكلَتّها
وهي تفتح المعلّبات.

(34)

أُعطي الموسيقا ظهري،

وأنام على الكنبة..

لتخفّف من وجعِ نومي في هذا المكان.

أو حتى إذا رأيتُ مناماتٍ

تكسر الظهر؛

حين أنهض وجه الصبح

تسندني،

كوحيد

يشغل نفسه عن المرآة

بأعمال المنزل.

(35)

من كثرةِ الحَبّ

متوتّر.

هذا التوتّر يكتشفَ لي أقاليم

ما كانَ ليعرفها

منْ أُعطيَتْ له الأرضُ

في أول الأمرِ،

وخاف.

(36)

غيمةٌ عريضة،

تقع على جسرٍ طويل.

غيمةٌ عريضة،

تقع على جبلٍ تلتفُّ عليه طريق.

غيمةٌ عريضة،

لا تكفي صحراء

قفل عليها المعري عينيه

ومشى فيها

المتنبي

متكأً على صباه.

(37)

النوارس رفعتْ غطاءها

عن التماثيل الداكنة،

واصطفّتْ كأسنان على فم البئر التي بدتْ

وكأنها تضحك،

رغم نقصانها إلى القاع ككأس

شرب منها ضيفٌ

ولم يكملها من باب الخجل؛

لتدخل طفلةٌ تشرب وتجري وراءه..

تحسبه أباها الذي يقع اسمه

في كل فم،

ويطير من الشفاه.

خرجنا إلى الصحراء بأحذيةٍ تناسبُ الشاطئ

(1)

نَنام ونتركُ الطرقات
خاليةً منّا ومفتوحة،
نتركُ الأحذية كذلك..
ونمشي في أحلامنا حفاة.
لكنّ منامات سيئة تَجيءُ لنا بالعسكر،
العسكر الذين نراهم
ابتداء من أحذيتهم المخيفة.

(2)

الذين يقولون:
ما أصعب الحياة!
يدخلون القصيدةَ بسهولة،
وتتابع بهم المسير..
وأخاف عليهمِ أخافُ
من رموز تحفر وتدفن نفسها.
تُخيفني القصيدة،
تتعرض لي من مكانة عالية،
تُخيفني أكثر من الهاوية،

أكثر من حلُم
لا أنا ولا الناسِ فيه،
ولكنه يكشفَ عني الغطاء.

(3)

درب رملية ضيقة،
قبل أن نولدَ أطلقوا عليها اسم رجلٍ واسعِ القلب،
كسرته الحياة.
فما رأيناه بعد ميلادنا
خوفاً و طمعا يمشي عليها.
كذلك،
لم نر الأفعى.
رأينا ثوبَها ولِم نمشِ عليه.
ولكنه تَفرقَ على أقدامنا التي انتشلناها
من الموجة.

(4)

الذين يطعمون الخيل،

ويسقونها قبل النوم.

يرونها في أحلامهم جائعةً

فيقومون من خوف

صاهلين.

(5)

سمعنا بين الجبال شجاراً،

صعدنا وفرقتنا أصواتُهم عليها.

وصلنا ورأينا أناسا في القاع

هامدين.

هل حقًّا كانوا على جبلٍ،

وأوقع بهم جميعا الشجار؟

أم غررت بنا أصواتُهم العالية

وهم في القاع؟

(6)

وقفنا على البئر،

ورمينا الماء في القاع

بقراريط

حفظناها من شفاه آبائنا.

بقراريط

كانوا يشترون

حبالاً للآبار ودلاء.

(7)

أرخى الحبل

وشيع إلى البحر قاربه.

وبقي على الشاطئ،

يمسد على ظهر كلبه الودود.

وعند الغروب سحبه،

ليس خوفاً من أن تحرقه الشمس،

لكن خوفاً من أن تغرقه

لو سقطت فيه.

(8)

وصلتنا من هناك،

من أوتار ناعمة و مشدودة.

وبدل أن نَرخِي لها السمع،

بأيد هوجاء عقدْناها

وأرخيناها على الرمل

كآثار إطارات

تخلّلها الحصى.

ها نحن الآن نتبع الموسيقى

حفاة النظر.

(9)

خرجنا إلى الصحراء

بأحذية تناسب الشاطئ.

لكنا خلعناها ومشينا مع الغروب حفاةً،

وقد نظّفَتْ الرمالُ بواطن أقدامنا

من شفافية السواد..

أقدامنا التي غدَت وكأنها لأطفال

لم يمشوا حتى في الأحلام.

فما احتجنا حين وصلنا الماء أن نتوضّأ.

(10)

حافيا

وراء هواية الحب،

أجمع الزجاج وأرجمه بالحصى؛

عقاباً لانكساره الأول،

ولأسمع الموسيقى.

(11)

حالما أفرغُ من قتل أشباحي

سأكف عن الخطيئة.

إلى جانب العربة،

ويأكل من ظلّي إطارها الواقف.

وكل يوم أفكّر بعمق

وروحي هشة،

بأشياء قوية على السطح.

(12)

أيتها البلاد

لا آكل من كيسك

الذي حرمتني منه

وراء ظهرك،

وبدوت لي حبلى وأنت عاقر.

فلا تأكلي بنار أخبارك من زادي.

سفري طويل..

وكلما نقصت حاجتي

ازدادت محبتي لأطفالك

الذين لن يجيئوا من وهمك.

(13)

أيها الكوكب،

آمال كثيرة لأجلك دورتها،

ولا أتمنى حفظها في كتاب

على شكلك.

أخاف إنْ وضعتك على الرفّ يوما

وأهملتكَ،

أن تسقطَ عنه

من صوت الباب،

لأنّكَ لا تثبت في زاوية.

(14)

من الأشياء الثمينة على الرفّ

ساعةُ يد أُهديتَ لي من زمن بعيد.

وكلّما نظر إليها زائر بطمع

قلت له بخوف:

لهذه الساعة قصةٌ طويلة،

ليس عندي وقتَ لأقصها،

فهي الآن واقفة.

(15)

يداي مرفوعتان

وأنطق اسمي مرارا

كما يتخيله لساني وأنا صغير..

ملأتَ يدي الآن بي،
حَمَلْتني ..
فإذا دخلَتُ علي أمي
أو السنةَ الجديدة
أُهديها طفلي الخيالي.

(16)

مثل حياة
عادتْ إلى طفولتها،
يدُها لا تِقوى على حمل شيء
حين حمَلْتَها على المداعبة
في صيغة سلام، أحستْ من يدي
بكل الأشياء التي حَمَلتني إياها
في كهولتها، وبكَتْ.

(17)

لا أريدَ أن أفهم لأصل الحقيقة.
أريدَ الحقيقةَ لأفهمها كلعبة

حين أملّها أفكّكها،

وأرمي بأجزائها إلى الشارع..

لا لأجرح أطفالاً حفاةً

ومحرومين من الحقائق،

ولكن لأضحكَ

حين أسمع من لا يعرفُ أني عرفت،

يقول لي:

الإنسانُ عدو ما يجهل.

(18)

أريد الآن

ذات اللعبة التي رأيتها بيد ابن الغريب.

ذات اللعبة التي وقفت لأجلها في منتصف الطريق.

ذات اللعبة التي سميتها على الفور لعبتي؛

فأحرجت أمي،

وعطلت السير

وتأخَّرنا عن موعد الإبرة..

ذات اللعبة التي ملكْتها في الحلُم،

وفي الصباح نسيت أمرها.

(19)

عندي من الطائر ريشة
تحدّد إلى أين وصلت في زمن الرواية.
عندي من التأمل ماؤه وحدسه،
أخوهُما إذا انشغلت عنهما بالوصف.
عندي من الليل شبهاته
أسدّ بها فمي وأصمت.
عندي من الشراع جرحه،
ومن البحر نظرته إليه.
عندي من الأسباب أولُها
عندما وقع قلت:
البقيّة بسهولة تأتي.
عندي من الشارع رأسه،
كلما وصلته هلّلت للفرق
بينه ورأسي.

(20)

أنا مثلكم حريص

على الغمغمة بأسهل أغنية،

وأنا أرتدي ملابس الخروج.

وأتوقف عن ذلك

لحرجٍ في التنفّس

عند انحنائي لارتداء الحذاء..

الحذاءِ الذي سيكمل

حرصي على الطريق.

(21)

أميل إلى كتفي

لأسمع قلم الملاك،

مثلما أميل إلى سماعة سوداء،

وأحصرها بين الرأس والكتف؛

لأرتكب خطأً بيد،

وأقْبل، ويدي الأخرى على جنبي، اعتذارا

من غريب

اتصل بي بالخطأ.

(22)

كلّما التقطت خبزةً عن الأرض قبلْتها،

وكلّما التقطت ريشة.

صار فمي خبزاً لكم،

و طيرا..

و الشعر الذي أقوله في الطريق ولا أكتبه،

يذهب طعاما للطيور.

(23)

لأني أحبّك

وصلت

إلى آخر نتوء صخريٍّ

مكسور في الماء،

كما لو أنه بارودةٌ قديمةٌ

طواها الصياد

ليلقّمها رصاصةً..

فتأخَّر القتل

قبل استقامتها دقيقة.

(24)

لم أختلفّ مع طفلي
إلا في تغيير الأماكن.
هو كان يقول:
طويلةٌ الطريق،
وأنا أقول:
الطريق طويلة.
كلانا رغم المسافة بيننا
لم يُخطئ.

(25)

أخي
لا تستغل نومي الطويل من شدة التعب،
وتلبس حذائي الجميل..
ستتعب.

(26)

مطر على الشارِع بعد الجفاف،

والسيارةُ الواقفةَ بالعشّاق مشَت

كاشفةً للعين نصيب الشارع من الحرمان..

نصيب الشارع من السيارات كثير،

كنصيبي من التفاحات؛

أشتريها من السُّوق،

و خطأً أظنُّها من شجرةٍ واحدة.

سأقطع من ظلّي غطاءً

(1)

وقع الغناء على الماء

فجرتِ خيلٍ مسومةٌ في الصحارى ..

عددِ ما طارِ من قطرات

بعضها علَق بحاجب المغنّي،

فغنى من جديد أن

عودي واشربي يا خيل

من العين التي لا تعلو الحاجب

الأسود الهادئ.

(2)

أنزل إلى أبعد الوادي،

أمسحُ بكفّي عليِ هلال تذكّرتْه صخرةٌ فانْطبع عليها.

وكما طيف أسند ظهري في هدنة المصلي

بين الركوع والسجود.

فجأةً

ينزلُ المطر،

أصير علامة قياس.

وصل الماء حرفَ الشفة السفلى

فشربت

وأنا أقول: كفى!

أنا الغريق، الآن، لا أرى ظلّي.

من بعيد

يرى الناس رأسي في الغمر محاقًا،

أو صخرةً نَسِيَتْ أن تذكر الهلالَ عند غيمة.

(3)

عاريا ووحيدًا

عبرت الصحراء،

فغلبني النوم على السراب.

وصافيا قمت من الأحلام،

فإذا ببئر تَفيض لتغرقني.

ماذا أفعل؟

لا شيء أمامي إلا عريي والظل.

وإنْ سددت العين بالسراب تجَف!

سأقطع من ظلّي غطاء،

وأعود إلى القرية

مسرورا بنقص الظل.

(4)

كأب خرج من البيت على عجلٍ،

وحذّر التوأمين على العتبة من أن يتبعاه؛

قلت لظلّي خوفاً عليه

من الانقسام تحت القمر:

ارجع إلى البيت،

ابق في غرفتي،

وقلّب بيسارك مسودات قصائدي.

ولما دخلت الضباب البعيدَ في طريقي الواسعة،

صرخت عليه والقمر غائب:

لماذا انسحبت فجأةً،

وتركت جسدي وحدَه هكذا

في الضباب

بيتاً بلا ظلال؟!

(5)

لا تحدّق في الماء،

يرويكَ الخيالُ أكثر إن أغمضت عينيك وأنت تشرب.

خذ الحكمةَ من عيون الآبار الغافية.

ستجفَّ عيناكَ ويضعفَ بصرك

إنْ حدّقت إلى المكتوب على المرآة بقلم رصاص.

....

....

الغيمة كالمعري

لا ترى، تمشي على النية.

في رأسها صورةٌ لأول صحراء،

وتُحدّثَ نفسها:

أنا قليلة،

من رؤوس الناس

على وجهي داكنة،

ولا أسبق في الحرب طائرة.

(6)

تعثّرت عيناي بكلمة في جريدة.

كلمة جديدة علي..

لم استخدمها يوما لا في سياق رياضي

ولا جمالي ولا سريع أو بطيء.

كلمة بين الكلمات،

وتشع منها حساسيةٌ
تُريق الطيف على الأذن،
وتؤخر حدثًا لا إراديا كالعطاس.
بارزة ومليئة بالهواء
مثل حجر القدم في يد امرأة
وقَع كعبها الطريُّ على الكلمة.

(7)

لم نقطع من الوقت كثيرا للمرايا.
آه يا صباح وجوهنا المدورة كسورة الكرسي في صدور الأمهات.
ومرارا أخطأنا تشبيكَ الأزرار أمام ظلالنا،
واقفين على حصائر ابتعنها بنات العيشة من فلوس العيد.
أخطاؤنا القديمة ما نحب أن نكون، ولكنّهم صححوا لنا الجوهر.
منّا من كبر على المرايا،
ورأى رأسه في الجدار.
منّا من رآه الهواء،
ومنا من وقف على أطراف أصابعه،
ورأى نهاية اللحية.

(8)

أشتال فلفل غزة
رأينا تفتّح زهرها،
وغادرنا البيت يومين إلى عرس ابن العمة.
عدنا في الضحى،
كانت مواليد لامعة و ودودة.
في الظهيرة،
- والديك صامت من ضجر في الركن الظليل-
قطعنا بعضها من باب اللعب مع الصغار.
ودخل علينا كبير البيت صارخا فينا:
- وقام الديكُ من ركنه إلى ساحة الشمس قومة ندّ-
لا تقطعوها،
غداً تكبر وتقسو ونأكل نارها.

(9)

بخطّ سريع
مطاردا الغراب ابن الغراب
الذي دخل بياض ذهني وصار أبيض.
ليلتها لم تقبض يد الشِّعر البيضاء كإشارة قفّ، على شيء.
وكدت أنام أنا، أيضا، كإشارة قف على قدم وساق..

لولا عادة تقليب المخدّة واستبدالها بأخرى.

فلخشونة الرسوم على الأولى
رميتها على الباب المفتوحِ قليلاً،
الباب الذي جاء منه الغراب.

(10)

شعور كبير بالذنب يأكل الغرباء
كلما لوى أكتافَهم البرد الأبيض لإلقاء بقايا الأرز
المطهو في سلّة المهملات.
أنا أفعل هذا كثيرا،
إذ لا قن دجاجٍ بلَدي حول هذا البيت الجديد.
كرةٌ الأرزّ بين يدي ألقيت بها إلى الخارج،
فإذا بظلّي يدي على الثلج غُرابان،
يَجتمعان على الكُرةِ ويأكلان.

(11)

لو أنّ الوطن قرية على رأس جبل،
– كالتي أراها الآن من الشباك –

تَقبلها الشمس من رقبتها وهي في طريقها إلى الغروب،
ولا تترك أثرا عليها كالذي يتركه الأولادَ على رقاب الحبيبات،
ولا تحرق لها شفاها كثيرة من الأشجار،
ولا تجرح أهلها بصمت أحد ذهب
يتأمل الهاوية كرياضة روحية!

(12)

لو أنّ يدي سدّة البئر
ويعاقبني الطاغيةَ بأن أمنع بها الماء
عن أهل القرية؛
لثقبتها وقلت لحارس الظهيرة
الذي يقحف البطيخ وينظر إلي:
هذا الثقب يعود
إلى قطعة نقدية
دسّها أبي بحنان في يدي
صباح العيد..
فقبضتُ عليها بفرحةٍ قوية.

أفكار عن طول النهر

(1)

مثل أعمى

كان يتعكّز على قصة حياته

التي صارت طويلةً

مثل شجرة

صار يرفع يدَه إلى أعلى

ليقطف منها.

(2)

كلّنا لنا قصص

من عنف طولها قطّعناها

وحزمناها

كضمة نعنع

حتى ترقص.

(3)

ظلّي زميل عمل
أنشطُ مني
أطولُ مني
يتحمل وقوفَ المدير وزملائي عليه
ولا ينظر لساعة الحائط.

(4)

أجري في طُرق الحياة
لكيِ لا أرى طولها من بعيد فأتعب.
ولأني أراك
أكتب أشياء عليها العين.
جسمك كالسهم
لا يصلح للرقص.

(5)

شخص ما يلاحقني
يرمي إلى رأسي بأفكار عن طول النهر
عرفتها قبل أن يظهر
وأجلت كتابتها بيد قصيرة
لم تقع كاملةً على الخريطة
كما تقع على ركبة مصلٍّ
أو مدخنٍ عصبي.

(6)

كانت الثمار
التي تَطالُها يدي قاسية
على وصف أمي كالأحجار
فأقطع حجرا
أرشق به ثمرةً
في الأعالي ناضجة.

كلّ عام وأنتَ في فرح ومحبة

كمطلّقة تفرح ببناتها،

أفرح بقصائدي الحزينة؛ ناسيا من كتبها.

***

حاجتي كإنسان أن أتغير:

أن أُحب عدوي بمجرد موته،

وأكره حبيبي بمجرد موته.

***

تغترب فيحبُّك جيرانَك،

الذين خاصموكَ وأنت في بلدك.

***

اسمع بعينيكَ،
كما يحدثَ معكَ في المنام.

***

الذي يطير من الفرحِ ،
تسمح له بذلك حبالُ أحزانه الطويلة.

ألعاب لبداية السنة الجديدة

(1)

بزوايا الممحاة نمحو،
لا بأضلاعها.

(2)

كما ممحاة مربعة
أتناقص من الزوايا والأطراف،
كي أصبح دائرة مكتملة
تمرح بدورتها على الورق.

(3)

الاسم بالأزرق على ممحاة
خوفاً من أن تضيع..
على ممحاة محت نفسها
في سبيل الأخطاء.

(4)

لو ترقص الرصاصة

وهي في طريقها إلى الجسد،

ستكون احتمالات موته أقل.

(5)

لو الرأس

كما في قلم الرصاص،

ممحاةٌ ..

تمحو خطوات الجسد الخاطئة.

(6)

لأرسم زهرةً بقلم الرصاص،

بريته بسرعة من يدير المفتاح في ثقب الباب؛

فإذا بالزهرة تخرج من شفرة المبراة.

(7)

متعة بري قلم الرصاص،
الموسيقى الناتجة عن هذا العمل
تصغير حميم
لصوت رحى القمح.

(8)

لا نستطيع بري القلم،
عندما يصبح بطول رصاصة.

(9)

أنْ يكونَ درسُ حصّتكِ الأخيرة
عن سعادة الإنسان،
وهداياكِ للأطفال مّمَاحي بيضاء
عليها ابتساماتٍ لكائنات أليفة.

(10)

المرآةُ على جدار المدخل الأمامي مربعة.
وكلما نزلت خطوةً عن الدرج
نقصت من الأطراف.

(11)

أجمل الأنهار
ما مشى وتعرج كالغراب ..
ففي كلّ خطوة هو يضمّ إليه
أراضي جديدة.

(12)

الفكرة، أيضاً، مدورة.
ما من أحدٍ يُفكّر بشكلٍ مستقيم.

(13)

الشارع مستقيم.

كيف يقول له البعض:

لماذا حشرت نفسك في الزاوية؟!

الفهرس



2016